البعد التداولي في حديث النبي وأهل البيت(ع)

م.د فلاح رزاق جاسم
كلية الفقه/جامعة الكوفة

مقدمة:

إنّ مفهوم التداولية من المصطلحات المعاصرة والمفاهيم الحداثوية المستمدة من بحث اللسانيات المعاصرة على صعيد مدارس الألسنية الحديثة، كالأسلوبية والتفكيكية والسياقية وما الى ذلك.

والتداولية هي مجموعة من النظريات تتفاوت بالمنطلقات وتتحد في النظر للخطاب بوصفه نشاطاً يُمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد، ويعني بدراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها وتهتم بمنتج اللغة لا باللغة فحسب. وتتناول أثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب بما يستتبع دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة باللفظ، ولا سيما المضامين والمدلولات، وتشمل هذه المعطيات معتقدات المتكلم ومقاصده– شخصيته– تكوينه الثقافي، مع من شارك في الحدث اللغوي، ويشمل كذلك الوقائع الخارجية ومنها الظروف الزمكانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة، فضلا عن المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيها بما يأتي بيانه في مطاوي البحث.

إنَّ سبب اختيار هذا الموضوع ما جاء من تطبيقات لمفهوم التداولية على أبعاد النص القرآني فيما جاء من الدراسات القرآنية الخاصة بهذا المنحى مع ندرة هذه الدراسة عل الصعيد القرآني وباستثناء تلك الندرة لم أجد– فيما أعلم– من تناول مفهوم التداولية على مستوى الحديث االشريف، ولو وجدتْ فإن هذا البحث سيضيف جدة وطرافة تضاف الى ذلك.

لقد انتظم البحث في محورين أو مبحثين، تناول الأول منها اللسانيات والنص الديني، ومن مفاصله تحليل النص والمعنى أو المفهوم من

التداولية ووظيفة أو مهام التداولية وبيان العلاقة بين التداولية والمفاهيم الأخرى المرتبطة بها والبعد التداولي في الصناعة النحوية، أما المبحث الثاني فانعقد لبيان البعد الدلالي المنبثق من التداولية وما يضفيه النقد المعاصر من خلال كشف خصائص النص في استجلاء النكات الدقيقة منه وبيان أثر السياق في توجيه المعنى، معرجاً على عنوان تفجير اللغة باستنطاق الشواهد والمشاهد ومن ذلك ايضاح الدلالة الرمزية للحروف والأصوات وذلك باستنطاق النصوص المأثورة عن النبي (ص) وكلام المعصومين(ع)، وبيان الدقائق العميقة والنكات البليغة في بياناتهم. ولعل طرافة البحث وجدته جعلت الباحث يقتحم غوره رغم وجود بعض الصعوبات في طريق البحث، ومنها صعوبة لغة ما مكتوب عن التداولية كون الاغلب مترجم عن لغات اصحابها بما يعسر فهمه احياناً، وقد زالت تلك العقبات، ولعل من الصعوبات ايضاً هو كيفية انزال مفهوم التداولية الى ساحة الحديث الشريف وتطبيق ذلك، فضلا عن المفاصل المتناولة فيه وما الى ذلك بما هو مسطور في غضون البحث. أما في مجال الاعتماد على المصادر والمراجع في هذا الخصوص فكانت المختصة منها في هذا الشأن حصراً وكذلك مراجعة كتب الحديث الكثيرة للاطمئنان على صحة تلك الاحاديث فضلا عن تواترها لغرض فرزها ووضعها في زاوية المفروغ منه.

المبحث الأول: اللسانيات والنص الديني:

يعتقد بعض الباحثين أن تحليل النص يعد امتدادا للسانيات ويصب في تطوير البحث فيها واذا كان كذلك فان هذا الامر يوضح لنا اثر المسلك المعرفي المؤدي الى ظهور تحليل النص الديني او فيما يخص موضوع او مادة اللسانيات بما يحدد عملها فهو الجملة المتكونة في النص وفي مجال تحليل هذا النص يضيف اللسانيون قيد الخطاب فعندهم (لا تختزل الظواهر الخطابية في تركيب ظواهر تتدخل في مستوى الجملة او القول فالخطاب لا يمكن حينئذ ان يختزل في تسلسل جمل او الاقوال التي تركبه انه كيان قائم بنفسه ووحدة تتطلب تحليلا مخصوصا)[١] وينطلق محللو النص الى التلاؤم بين تحليل النص وعلم التركيب فالبناء النحوي يحدد الجمل النحوية من حيث سلامة التركيب فهل هذا المنحى يتناول النص الديني؟.

يرى محللو النص ان الجمل تارة تكون نحوية واخرى غير نحوية تبعا لاتباعها قواعد علم التركيب كما يمكن ان يكون النص منسجما ام لا بناء على تقيده او عدم تقيده بقواعد الخطاب[٢]، فالنص هو المحور عند اللسانين المعاصرين والاهتمام به يستند على شقين:

أ- ما يتعلق بتاويل التعبيرات دون حقل الجملة او القول بافتراض انها لا يمكن حلها موضعيا في الجملة او القول.

ب - النص واعتبار تأويله ليس حصيلة تأويل الأقوال المؤلفة له.

أما الشق الاول فيستند الى عدد من الظواهر اللسانية:

١- ضمائر الغيبة ومنها جميع التعبيرات التي فيها اشارة غير مباشرة الى شيء ما في الكون ظاهري بتعيينه في قول سابق ويتم باحالة تعبير مختلف.

٢- الروابط التداولية كونها تعطف بين مختلف الاقوال والازمنة النحوية وبدورها تمكن من تحديد موقع الحدث في زمن ما قباساً الى ملحظ محدد غالبا في قول سابق.

ويعتمد الشق الثاني على موضوع عدم تركيبه النص بمستوى الظاهر بمعنى عدم عدة مجرد مجموعة اقوال تكونه[٣].

وفي هذا اللحاظ ينبغي الاشارة الى الاختلاف في موضوع تحليل اللغة عن وصف الخطاب فمجال التحليل مفتوح اما تحليل الاحداث الخطابية فيكمن في تحليل لعينة توصف بكونها مغلقة ذلك ان (الفرق بين تحليل اللغة ووصف الخطاب يكمن في ان الاول يجيب على السؤال التالي ما هي القواعد التي شكلت منطوقا من المنطوقات؟، والثاني كيف حدث واين ظهر منطوق معين ولماذا ظهر هذا المنطوق ولم يظهر غيره؟ ووصف الخطاب يهتم بالسؤال التالي: ماهي الفرادة التي ظهرت فيما قيل او في ما يقال؟ ولماذا لم تظهر في مكان آخر)[٤]، وحاول بعض الباحثين ان يؤسس لسانيات اخرى تتمحور في النص كون اللسانيات التقليدية لاتتجاوز الجملة ومايبدو عدم جدوى هذا الكلام كون (استقلال التركيب لا يعزل وجود ارتباط معنوي فالنص باكمله مجال دلالي واحد والحمل من النص تقوم على تسلسل معنوي عام لحكم انتمائها الى نفس المجال الدلالي ولكن هذا الارتباط المعنوي ليس من الحتمي ان يشكل في ارتباط تركيبي نحوي)[٥]، ويوضح فان دايك ان هناك فرقا بين الجملة المركبة ومتواليات الجمل لا سيما على الصعيد التداولي فمعنى الجملة يمكن ان يرتبط بمعنى جملة اخرى من نفس اللفظ فالمقصود بالنص تبعا لهذا الملحظ هو البناء النظري المحدد المنظور اليه عادة تحت اسم الخطاب [٦].

تحليل النص:

يهتم التداوليون بالنص بوصفه موضوعا خارجيا او بكونه موضوعا له فاعل منتج له بوجود علاقة حوارية بين المخاطب والمتلقي وتعد قضية الفاعل من الوجهة اللسانية ضرورية لمتابعة تحولات

اللغة في اطار النص ففي علم اللغة نلاحظ تصور الفاعل المنتج للنص تقترب به ملاحظة حضوره في النص نفسه[٧] فمحلل النص يعد العبارات والكلمات والجمل في اطار النص دليلا على محاولة المخاطب ايصال رسالة للمتلقي بما يجعله يهتم بكيفية ايصال فهم الرسالة للمتلقي المقصودة لدى المنتج في مناسبات خاصة فضلا عن متطلبات المتلقي وكيف يفترض ان تؤثر في تنظيم خطاب المنتج [٨] ويرى محللو النص ان المعالجة في اطار المشكلة تكمن في اتجاهين:

الاول: يتمحور في اضافة ملفوظات ابعد من اطار الجملة لمد البحث اللساني.

الثاني: حيثية الربط بين اللغة والثقافة بمعنى الربط بين الباعث الاجتماعي واللغة.

هناك اتجاهان في تحليل النص: أحدهما لغوي يعتني بعلاقات النص بما فوق الجملة من خلال تتبع مظاهر الاحالة النحوية وظروف استعمال اللفظ وبنية الدلالة الكلية للنص، والثاني يتمظهر في تحليلات المدرسة البنيوية. وقد افرز هذان الاتجاهان منظومة منظمة من الاجراءات المنهجية التي أفادت من البعد التداولي في اللغة بقدر استثمار امكانيات التحليل السيميائي للوحدات الوظيفية في النصوص تحت عنوان شامل هو تحليل النص[٩]، وتحليل النص يتدخل في تحليل العلاقة فبملاحظة الاحرف الهجائية نجد انه من الجلي ان هذه منطوقات لا تشكل جملا لغوية وانما تعد منطوقات فاذا نسبت الى مداليل اسلامية فانها تعد او تصبح دالة على علامات قرانية لا تزال موضع خلاف في التفسير والتاويل[١٠] بما يعد تداعي الحروف على حد تعبير بعض الباحثين، وتأسيسا على ما تقدم فإن المنطوق يتناغم والفعل اللساني والقضية والجملة والعلامة ويختلف عنها بكون اختلافه مع ما ذكر يتمثل في محوريته القائمة على الممارسة والوظيفة مما يشده بنوع من التداولية النصية، إذ إن (المنطوق ليس بنية وانما وظيفة تنتمي الى العلامات)[١١]. ويهدف تحليل النص الى توسيع الادوات المعرفية عند المتلقي اذ يعني محلل النص بجمع كافة المعلومات وتركيبها فضلا عن الموضحات التي تعين في فهم النص بمختلف مراحله ابتداء من انبثاقه وتداوله وتلقيه وتفسيره اضف الى ذلك الترتيب البنيوي للفظ ويربط محللو النص المعلومات هذه بدون التوقف عند صرفية النص وبنيته الظاهرية السطحية كالبنية النحوية او الدلالية مثلا وانما يتخطى ذلك الى المعلومات التي تحيط باللفظ وكل ما يعني المشاركين في قضية التخاطب فللخطاب ارتباط بالفعل التواصلي، ذلك أن

(المكون التداولي لن يحدد فقط الشروط المناسبة بالنسبة للجمل بل سيحدد ايضا الشروط المناسبة لانواع الخطاب)[١٢]، والمناسبة تعني هنا ما يتعلق منه بالجمل أو بتنوعات النص بمعنى مناسبة الجمل والنص للسياقات التواصلية التي تتعرض فيها فمما يرمي اليه القائم بتحليل النص هو التوصل الى المراد وليس صياغة قواعد فيصلية، إذ إن عملياته تخضع للسياق الاجتماعي وغرض المتكلم والشروط العاملة كاللغوية، فهو إذن يتناول (المنهجية التقليدية للسانيات الوصفية محاولا وصف الاشكال اللغوية التي ترد في معطياته دون اغفال المحيط الذي وردت فيه)[١٣]، ويتصف تحليل النص بمجموعة من الصفات منها:

١- إن النص مجال لغوي فيلزم استعمال اللغة لدى المستخدم والباعث والمتلقي، وبعبارة (بنفنسيت): ان الخطاب هو اللغة في حالة حركة كما يعني تحليل النص ظهور اللغة في التواصل الحي، وعنده ان النص يتعلق بكل منطوق (الباث والمستقبل) وللاول قصد هو التاثير بكل طريقة.

٢- يفترض ان يكون كل نص في وضع تواصلي ولا ينفك عن العوامل التالية: الباث، المتلقي، زمان ومكان التواصل، القصد التواصلي للمرسل، موضوع النص، المعرفة المشتركة بين المرسل والمتلقي.

٣- يفترض في النص انه نتيجة تركيبية يتواصل بها الناطق، وبهذا اللحاظ يعرف النص أنه: دراسة الاستعمال والتوظيف في وضعية ومعطاة للقدرات اللغوية، ومن ثم يمكن القول: ان معيار النص هو الوظيفة للمخاطب بها والمقصود هو نتاج وضعية معينة وسياق معين[١٤].

وبالجملة فان الاتصال يمثل قطب الرحى للنص ولذا فان تحليل هذا النص لا يتوقف عند تخوم اللفظ وانما يتعداه الى ابعد من ذلك اذ يواكب عناصر عملية الاتصال وظروف الاستعمال ومتابعة اليات فهم النص من استعمال وتلقي وتاثير بمعرفة السياق الاجتماعي والمعرفي وفي ضوء هذا الفهم العام يترشح عنه معطى متكامل المعرفة باستخدام الادوات الخاصة والحقول المعرفية المتنوعة بما يمد الباحث لدراسة مختلف جوانب عملية الاتصال.

التداولية المعنى أو المفهوم:

في المجال اللغوي التداول مصدر تداول، يقال: دال يدول دولا انتقل من حال الى حال وادال الشيء يجعله متداولا وتداولت الايدي الشيء اخذته هذه مرة وتلك مرة [١٥]. أما في الاصطلاح فان الغموض غالبا ما يحيط الكثير من المفاهيم والمصطلحات المتاخمة للأفق التداولي ذلك ان التداولية نشأت بوصفها نظريات تتفاوت في المنطلقات وتتساق في النظر الى اللغة باعتبارها

نشاطا يمارس في اطار سياق متعدد الافاق وعلى اساس من ذلك فان التداولية جاءت على لسان رائدها الاول (تشارلز موريس) وتعني (دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها)[١٦] فهي لا تعني باللغة فقط وانما بمنتجها وهذا التعريف هو الذي تاسست عليه بقية التعريفات بالنظر للغة على انها نشاط كلامي تؤثر فيه مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية ذلك ان اي (تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة)[١٧] وجاء في تعريف التدولية انها : اتجاه في الدراسات اللسانية يعنى باثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ ولا سيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق[١٨] وهذه المعطيات تتناول:

- اعتقاد المنشيء ومقاصده وشخصيته وبيئته الثقافية ومن يشاركه في الجانب اللغوي.
- الظروف الزمانية والمكانية والظواهر الاجتماعية ذات الارتباط باللغة.
- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيها[١٩].

هذا وقد تعددت مجالات التدولية على انها تعنى في الغالب بمعالجة العلاقة بين المتكلمين والسياق الذي ورد فيه اللفظ، لكن اختلاف السياق وادراكه يفضي الى اختلاف هذه المجالات فبعضهم جعلها أقوالا (تتحول الى افعال ذات صبغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها)[٢٠]، و فريق آخر جعلها تعنى بدراسة الآثار اللغوية التي تظهر من الخطاب وتنظر في حقل الذاتية للخطاب، وهو ما يشمل ضمائر الشخص ومبهمات الزمان والمكان وينظر في الجانب الضمني والتلميحي للكلام والسياق في هذا المجال يفرض مجموعة من قوانين الخطاب في أثناء مخاطبته الآخر[٢١]، في حين حدَّها فريق ثالث بأنها (الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية)[٢٢]، ولا بد من اعطاء المجاز حقه في هذا التعريف وكذا الكناية وقيل ان التداولية: (تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في الوسميات الخاصة به) [٢٣] اما تعريف التداولية عند (فيرشورن) فهو أنها (تدرس التداولية كل شيء انساني في العملية التواصلية سواء كان نفسيا او بايولوجيا او اجتماعيا)[٢٤]، ويقصر (لنفسن) تعريفها على (دراسة العلاقات بين اللغة والسياق كما هي مقعدة او كما تعكسها بنية اللغة) [٢٥]، في حين يعرف (فان دايك) النص التداولي بأنه (الخطاب

الذي يهتم بالعلاقات المفردة الموجودة بين بنيات النص والسياق)[٢٦]، وتضع (فرانسو ازارامنكو) شروطا للتداولية فتقول: (هي دراسة الشروط القبلية التواصلية كما هي فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية بل بشروط تواصلية عامة)[٢٧]، ويكاد يتفق تعريف (هلل) مع من سبقه فهي عنده (دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطها بوجود معرفة اساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة)[٢٨]، وهناك من يجعل فضاء واسعا لمفهوم التداولية فيقول: (إن التداولية أحدث فروع العلوم اللغوية وتعنى بتحليل عملية الكلام والكتابة ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام)[٢٩]، ويربط (مسعود صحراوي) مفهوم التداولية بالتواصل بما لا ينفك أحدهما عن الآخر فيقول: (هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الانسانية للتواصل اللغوي وتصير ((التداولية)) من ثم جديرة بان تسمى علم الاستعمال اللغوي)[٣٠]. وبعد كل ذلك فان التداولية تعتني بالشروط والقواعد التي تلائم بين فعل القول وحالات المواقف الخاصة به، وبعبارة أخرى هي العلاقة بين النص والسياق وضمان استمرار تلك العلاقة المؤكدة ما ينصهر في إطار التداولية والدلالة والنحو وثمة ما يجمع بينهما السياق الداخلي بما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية[٣١]، ويمكن اعتبار التداولية بمثابة الكشاف الذي تعنيه عبارة لكل مقام مقال على حد تعبير الجاحظ وتمثيلها لهذا المقام بما جعل بعض الدارسين يشير الى أنها (دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة)[٣٢]، او أنها (العلم الذي يدرس تاثير المقام في معنى الاقوال)[٣٣]، ويمكن انبثاق مفهوم للتداولية من رحم التعريفات السابقة بوصفها التعاطي مع الاستعمال الفعلي المتولد من الكلام في اطار النص وما ينبثق عنه من دلالات ومقاصد في مجال لغة النص فهي بذلك تتخطى الجانب التركيبي للجملة او الكلام في اطار النحو والقضية المعجمية وتتعداه الى البحث في القول في مجال المقام بملاحظة اثر المعارف غير اللغوية في فهم الاقوال ومقاصدها وخلاصة القول انها تعنى بايجاد العلاقات بين السياق الداخلي والخارجي للكلمة او العبارة والتاثير المتبادل بينهما ومدى التفاعل العميق بين الركنين في فهم النص وتفسيره على ضوء الاتجاه التحليلي او فلسفة اللغة بحيث يحدث تغيرا قي هندسة اللسانيات وفي اجواء معرفية انكبت على اللغة دراسة وفهما وتوضيحا بما يسهم في فتح فضاءات واسعة لدراسة ظواهر دلالية تستحق

العمق والتامل بما يتجاوز حتىتاثيرات المدرسة البنيوية للغة وتهيئة الاجواء لبروز لسانيات تداولية وما يصاحبها وينبثق عنها من اتجاهات لسانية وظيفية تضفي على الدرس اللغوي روحا اكثر جدة وبطريقة منهجية علمية لذا عدت التداولية احدث بحث افرزته اللسانيات الحديثة.

وظيفية التداولية:

تتجلى وظائف التداولية في انها تسهم في اللسانيات من خلال القواعد الباحثة عن المشتركات التي تدل على فحوى الخطاب بما يعني اعداد دراسة تاخذ على عاتقها الكشف عن العلاقات بين الجمل والمعاني التي تحملها والتعرف على العناصر التي لها مدخلية في فهم النص المراد فهمه ودرسه وياتي الاهتمام بالتداولية نتيجة وجود معرفة متقدمة بالنحو والصوت والدلالة بما انها لا تستطيع التعامل مع ظواهر خاصة ذات اهمية بوجود فجوة بين النظريات اللسانية ودراسة الجانب اللغوي بما يعد سببا لهذا الاهتمام اضف الى ذلك اعتناء معظم التفسيرات اللسانية بالسمة اللغوية داخل النظرية ما يستدعي الحاجة الى تفسير آخر ذي افق خارجي يمهد الطريق للتداولية لعل من اولويات ما تسعى اليه التداولية في هذا اللحاظ هو توفير الاجابة اللازمة على امور مهمة منها مثلا لماذا يعد التلميح ابلغ من التصريح؟ اين يتجلى الغموض في الكلام؟، ومن وظائف التداولية كذلك القيام بالعملية التي ترسخ التعبير وتجذره لدى المرسل والمتلقي وعملية التبليغ والتحليل المستلزم لعد السياق الذي بموجبه يؤول النص[٣٤]، وعلى الاجمال فان وظيفة التداولية تكمن في:

أ- الاهتمام بدراسة اللغة لافي اطار البنية الداخلية فحسب وانما بصفتها تعبير خاص صدر من مرسل خاص الى متلقي خاص وبتعبير معلوم في اطار تواصلي خاص لنشدان غرض معين.

ب- بيان كيفية سريان القضية الاستدلالية في معالجة النص.

ج- ايجاد علاقة بين اللغة والادراك والقواسم المشتركة بينها لايجاد علائق وثيقة بين اللغة والتواصل المعرفي.

د-بيان الاسباب الداعية لفشل اللسانيات البنيوية في معالجة النص.

هـ- توضيح الاسباب المفضية الى عد التواصل غير المباشر (السياق الخارجي) بأفضليته على التواصل المباشر (السياق الداخلي).

و-معرفة الشروط المعلومة لأجل قبول العناصر اللغوية وملاءمتها في الوضع التواصلي[٣٥].

ز- معرفة حيثيات التخاطب المتمثل بـ(المرسل والمتلقي والخطاب وتاثير ذلك في المجالات اللغوية تفسيرا وتاويلا)[٣٦].

ومن الاثر المترتب على وظيفة التداولية عند البعض هو ابراز الجانب التجريبي المستند على القواعد المعلومة في اللغة والاستدلال على اعتبار العبارة بكونها فعلا انجازيا وايجاد فعل مشترك لانجاز التواصل مع بنية الخطاب [٣٧] وبالجملة فان وظيفة التداولية تكمن في اثر المتلقي والموقف وغرض النص ومعرفة المقام وانواع التفاعل وانواع السياقات وكيفية التواصل ونوع المعلومات الصادرة ونحو ذلك بما يتعلق بالعلاقة بين العلامات ومستعمليها.

بين التداولية والدلالة:

ان دراسة النص كبنية معرفية تحتاج لادوات مثل النحو وعلم الدلالة والتداولية ، وبما ان عملية تاويل النص تتاخم بعدين من الابعاد هما الجانب اللغوي والثاني التداولي ففي هذا اللحاظ تعتبر التداولية بمثابة قضية لسانية تماثل العناصر الطبيعية كعلم الاصوات وعلم الدلالة وفي هذا الضوء فان الجانب التداولي يحتل الموقع الهرمي فهي والدلالة كلاهما تمثلان الخصائص في الجانب التركيبي والصرفي اما في النظرية غير الوظيفية فان دور التداولية على الصعيد الدلالي فهو تاويلي[٣٨] وانبثاق الدلالة من خلال التعايش مع الواقع يرتكز على ثلاث علاقات هي علاقة دلالية وهي علاقة العلامات بالاشياء وعلاقة اعرابية وهي ما كانت بين العلامات نفسها وعلاقة تداولية وهي علاقة العلامات بالمتخاطبين وقد وصفت التداولية بكونها (قسم من الدلائلية يعنى بالصلة القائمة بين العلاقات ومستعمليها) [٣٩] وجدير ذكره ان مفسر النص يتخذ من هذه العلاقات الثلاث استنادا الى مفاهيم ومصطلحات معرفية وبتلاقي هذه العلاقات يتم اعطاء تفسير متكامل فدور النحو هو تحليل العلاقات بين العلامات وتقوم الدلالة بتحليل صلة العلامات بالمدلول والواقع ويكمن دور التداولية بتوصيل دلالات العلامات فهي تنتظر ما يتمخض من المستويات السابقة لتتخذ من العلاقة الكلية أي بما يحيط بالمتكلم من احول ذلك ان معاني النص قد تتغير بتغير الوضعية الاجتماعية والنفسية للمتكلم وقد تشترك التداولية مع الدلالة في الاختصاص بما يتجاوز الجانب اللغوي الى افاق اخرى لكنهما يفترقان بكون الدلالة تدرس المعنى المجرد خارج المقام اما اهتمام التداولية فبما يروم اليه المتكلم من المعاني التي هي ابعد من المعنى الدلالي للكلام بما يتوقف على الاحاطة بالمقام والمرجعية الثقافية للمتكلم والمخاطب معا[٤٠]على ان التداولية والدلالة بنفس الوقت يعني كل منهما بالمعنى ويفرق بعض

الباحثين بينهما فيصف الدلالة باعتبارها مؤشر الى معنى معين على حين تشتمل التداولية على عناصر ثلاثة هي: عنصر ذاتي يتمثل في التعبير عن معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته وعنصر موضوعي يتمثل في الوقائع الخارجية ومن ضمنها الظروف الزمكانية وعنصر ذواتي ويدل على المعرفة المشتركة بين المتخاطبين [٤١] ومع هذا الفارق بين الاثنين الا ان الدلالة بذات الوقت هي الاقرب الى التداولية الا ان (وحدة التحليل في علم الدلالة المعنى أي معنى الكلمة والعبارة والتركيب الاوسع ... ويمكن القول ان وحدة التحليل في التداولية وظيفة اللغة) [٤٢]فضلا عن ان الحقل التداولي يتسع الى فضاءات معرفية واسعة ومختلفة ومنها علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي والسياق بنوعيه والمقاصدية ونحو ذلك والبعد التداولي بعد ذلك (يولى اهتمامه للعلاقة بين التراكيب اللغوية والمقام مباشرة اما المحور الدلالي فيدرس اولا الصلات بين الرموز اللغوية ومسمياتها وهو بالاضافة الى ذلك يلتفت الى المقام ولكنه لايعنى بتفصيل القول فيه تاركا عبء ذلك على التداولية) [٤٣] وجدير ذكره ايضا ان التداولية بحكم اتصالها باللسانيات البحته قد فتحت الباب واسعا لدراسة العلاقات المتبادلة بين اللغة والسياق الاجتماعي بما لم يكن موجودا من قبل بحيث يعد مظهرا او نهجا خاصا للتحليل والتدقيق بما يمكن معه القول انها شكلت جانبا هاما في البحث اللساني تقوم بملا الفراغات التي لم تلفت اليها الادوات الاخرى وبعبارة اخرى ان للتداولية الهيمنة على مسميات ظهرت لاكتشاف ما يدور في فلها كالبنيوية التي تعتبر اللغة مجموعامركبا لعناصر مرتبطة بحيث لا يمكن تحديد او تعريف أي عنصر بمفرده بل بعلاقاته مع العناصر الاخرى التي تؤلف هذا المجموع من اجل كشف عنصر الجمال المتوافر في النص ويضم كذلك موضوع الدلالات على المعاني التي هي (مجمل الاشارات الظاهرة التي تجسد المعنى الخفي والتي بدونها لا يمكن لحاجات الفكر المستترة وجود بين محسوس)[٤٤] وتتنوع هذه الدلالة فمنها الدلالة الاجتماعية والاصطلاحية ومنها الدلالة الحافة وهي (مجموع المعاني الاضافية التي تاتي زيادة على الدلالة الذاتية لاشارة معينة وهي تتكون من عناصر شخصية تختلف باختلاف الاشخاص والمجتمعات)[٤٥] ومن ذلك الدلالة النحوية الصرفية– الصوتية– العقلية– المعجمية ويضم للبعد التداولي ما يسمى بالرمزية وهو اعتماد الرمز كدلالة حسية توحي باغراضه الفكرية التجريدية والرمز الحسي هو

صورة وايقاع موسيقي ومناخ عام ينبثق عما توحي به الدلالات الرمزية جميعا ومن انظمته علم العلامات او السيمياء الذي يبحث في انظمة الاشارات اللغوية وغيرها لاجل كشف السمة الدلالية او الصوتية ونحوها في هذه الشبكة المعرفية ويضم الى قافلة التداولية عنصر الاسلوبية الذي هو (اختيار سمات لغوية معينة يقوم بها المنشئ لغرض التعبير عن موقف معين)[٤٦] ولاسلوبية بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب اولا وعن سائر الفنون اللسانية ثانيا[٤٧] والتحليل الاسلوبي يتعامل مع ثلاثة عناصر:

١- العنصر اللغوي اذ يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع شفراتها

٢- العنصر النفعي الذي يؤدي الى ان ندخل في حسابنا مقولات عير لغوية مثل المؤلف والقارئ في الموقف التاريخي وهدف الرسالة وغيرها

٣- العنصر الجمالي والادبي ويكشف عن تاثير النص على القارئ والتفسير والتقييم الادبيين له وهدف التحليل الاسلوبي العميق ادراك مدى تكامل هذه العناصر في تحقيق الحد الاقصى لفاعلية النص[٤٨].

البعد التداولي في الصناعة النحوية:

اهتم القدماء من النحاة بعلاقة المعنى بالاعراب ولم يكن هذا الاهتمام ناشئا من فراغ وانما انبثق عن وعي حقيقي لهذه المهمة التي تفتح افاقا معرفية ومنها ان المعنى لا ينفك عن الاعراب باعتبار الاخير يوضح المعاني ويجلي مغاليق الامور ويبين الاختلاف الحاصل وفي هذا الصدد يقول الرماني (ولا تنظر الى ظاهر الاعراب وتغفل المعنى الذي يقع عليه الاعراب لتكون قد ميزت فيما تجيزه او تمتنع صواب الكلام من خطئه)[٤٩] ويرشد ابن جني الى ان يكون تقدير الاعراب على سمة تفسير المعنى فان كان تقدير الاعراب مخالفا لتفسير المعنى ينبغي ان يتقبل تفسير المعنى على ما هو عليه ويصحح طريق تقدير الاعراب[٥٠] وفي مجال العلاقة بين المعنى والاعراب جعل الاخير بكونه (الإبانة عن المعاني بالألفاظ) [٥١] اما عند عبد القاهر الجرجاني فان (الالفاظ المغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها وان الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها)[٥٢] وفي هذا اللحاظ راعى النحويون المعنى وعلاقته بالاعراب من خلال نية المتكلم وقصده والربط بينهما بما يفسر بكونه الافكار والمعاني التي تعتلج في ذهنه فضلا عن مراعاة وجوه الاعراب لدى تفسير النص وربطه بالظروف الخارجية، اضف الى ذلك مراعاة السياق اللفظي إذ لم يغفل النحو عن المقام، وان القرائن الحالية تقف الى جانب القرائن

المقالية عند اهل الاعراب للنص[٥٣]، وكثيرا ما يتعاطى اهل النحو مع الاعراب التقديري والمحلي والاعراب بالحروف او الحركات او بالحذف ولا خلاف بينهم في احالة الاعراب على الصعيد الدلالي، فالاعراب إبانة للمعاني المختلفة[٥٤]، وعلى هذا فإن للاعراب صلة مع الجانب التداولي، ولننظر الى هذا الاعراب المرتكز على بعد تداولي ففي قوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)[٥٥] يتساءل النحاس قائلا (يقال ما لفائدة من هذا والحاضر والمسافر يشهدان الشهر؟ فالجواب ان الشهر ليس بمفعول وانما هو ظرف زمان والتقدير فمن شهد المصر في الشهر)[٥٦]، والشهر منصوب على الظرفية عند الزمخشري وكذا الهاء في (فليصمه) ولا يكون مفعولا به كـ (شهدت الجمعة) لان المقيم والمسافر كليهما شاهد للشهر[٥٧]، ومثل هذا التوجيه جاء عند الانباري[٥٨].

الملاحظ ان الاعراب جاء عند هؤلاء الاعلام بناء على حدوث توافق بين البناء النصي والحكم الشرعي فالعدول عند هؤلاء ارتكز الى قرينة الحكم الشرعي المرصود من قبلهم بعدم وجوب الصوم فيه لئلا يقع الالتباس الدلالي الناشئ من اعراب الشهر مفعولا به انطلاقا من القراءة التداولية للنص ذلك (ان البنية النحوية قادرة على استيعاب المقام الذي يجعل معنى الجملة مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمعنى بحيث لا تكون العلاقة الدلالية بين الجملة وما تحيل عليه سوى مظهر من وضع تداولي... ويسهم في تحديده كل من المتكلم والجمل التي يلفظ بها وما تحيل عليه من اشياء والمخاطب والسياقين الشكلي والمقامي) [٥٩] ، فالاعراب النحوي هنا قد لاحظ الحكم الشرعي في بنية النص بما شكل جزءا من ثقافة المفسر ومن اهتمامات اللسانيات الاجتماعية اذ ان (معرفة ظروف الخطاب تسمح في تحقيق التحليل النحوي الدقيق)[٦٠]، ويتجلى الفحص التداولي للنص عند النحاة من خلال تقمص المعنى في عبارة تستوفي شرائط الصحة اللغوية والنحوية والتداولية فقد ينقدح الافق التداولي عند النحوي من خلال القضية الاعرابية، ففي قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٦١] حصل الاختلاف في (من) الموصولة على الفاعلية فقيل: إنها في موضع رفع فاعل المصدر فيكون المصدر قد اضيف الة المفعول ورفع به الفاعل نحو: عجبت من شرب العسل زيدٌ[٦٢]، وهذا القول مفضي الى معنى غير متين اذ لا يصح ان الله يوجب على المستطيع وغير المستطيع ان يحج البيت المستطيع فالمتحرر منه ان لله على جميع الناس ان يحج المستطيع وفي

هذا تاثيمهم جميعا اذا تخلف مستطيع عن الحج وهذا خلاف التوجه الفقهي المدعوم بالحديث الشريف والسنة المطهرة والصواب ان نجعل (من في محل جر بدلا من الناس ليصير وجوب الحج على المستطيع وحده)[٦٣] ففي هذا الملحظ نرصد البعد التداولي في تصويب الراي النحوي الوارد في تحليل النص في ضوء الاستعانة ببعض القرائن خارج الخطاب – الحديث الشريف – بما يؤدي الى صياغة معنى نحوي خاص بناءا على قرائن تداولية مختزنة في ذهن المتلقي لمعرفة ما يتطلب فهمه من انماط في النص وكيفية تفكيكه في ضوء السياقات والمقامات التي ترد فيها [٦٤] وهناك شواهد وامثلة اخرى نكتفي بما تقدم وايضا فيما يخص التوجيه النحوي في اطار البعد التداولي ما يتناول الحذف التداولي بابعاده المتنوعة وهناك ما يخص الاحالة النصية والمقامية للافق التداولي وهكذا تتنوع صور البعد التداولي وتتوزع في ابعاده المختلفة لكن مقام البحث لا يتسع وبناء على تلك المعطيات التي تكتنز النص نحاول تسليط الضوء على ما جاء في كلام النبي (ص) واهل بيته المعصومين (ع) من ابعاد تداولية لنتبين تلك الايحاءات وجماليات الاداء في ما أثر عنهم (ع).

المبحث الثاني: البعد الدلالي:

لعل اول ما يطالعنا في البحث الدلالي وعمقه واستنطاق افقه وبما يرتبط ارتباطا وثيقا بالخطاب القراني ما جاء في قوله تعالى: (واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله ...)[٦٥] الاية الكريمة تامر بدخول البيوت من الابواب وما يلفت النظر هنا هو هل ان الدعوة القرانية هذه جاءت بجديد يفهم الناس امتثالا لامر الباري تعالى انه يجب ولوج البيوت من الابواب بما هو تحصيل حاصلعند من له ادنى فهم من سائر الناس فضلا عندمن يحسن فهم الخطاب ممن اوتي قسطا من الفصاحة والبلاغة فهل هذا هو حقا منطق كتاب اعجز الغير عن الإتيان بمثله ؟ وهل هي دعوة تحمل في طياتها قضية ذات تاثير يستدعي الاهتمام الى هذا الحد ؟ وهل لوحظ ادنى مخلوق سلك غير طريق الباب للدخول ؟ اللهم الا غير السوي الذي تحكمه الفوضوية وهم ندر مع انه يتنافى مع الاعراف في كثير من بلدان العالم اذن لا بد ان تقف خلف هذه الدعوة قضية هامة وتستبطن موضوعا يريد القران من خلاله لفت انظارنا بما هو ابعد من الفهم البدوي الساذج للكلام باعتباره احتوى صنوف البلاغة وافانين البيان كونه مستودع المعارف والحكم ومنتجع الفصاحه والعبر اراد منا إجالة النظر واطالة الفكر فيما يرمي اليه النص المعصوم وما يختبا خلفه من عمق يسمو فوق المعاني المهلهلة ويتعاظم مع الفهم الاسمى للنص بتسليط الادوات

المعرفية واليات فحص النص بعيدا عن الفهم الظاهري البسيط وعليه لا بد ان يكون المقصود او المراد هو الاشارة الى الحديث الوارد عن النبي الاعظم (ص) القائل: (انا مدينة العلم وعلي بابها)[٦٦] والمشهور عندد الفريقين ومن الواضح ان لعمق الدلالة وبعدها في هذا الحديث الشريف حاول البعض ايقاع التحريف فيه فادعى انه بلفظ (وعالي بابها) لصرف الانظار عن المعنى الحقيقي الذي يرمي ليه النص الشريف باعتبار ان مدينة العلم هذه المتمثلة بشخص النبي (ص) الذي هو الخازن للحكمة والاسرار الالهية تمثل كنوزا لا حصر لها من العلوم والمعارف فقد أضاء البشرية بانوار علومه (ص) ولطائف معارفه فللاشارة الى عدم استطاعة أي شخص الغوص في تلك البحور لاكتناه تلك الدراري والدرر فلا بد من الدخول الى تلك المدينة العظيمة من خلال بابها الذي هو امير المؤمنين (ع) للاشارة وللفت النظر الى مقامه السامي ومرتبته العظمى بين سائر البشر بما جعله بابا للدخول الى تلك المدينة واكرم بتلك المدينة وبابها كونهما يحملان من دقائق الاسرار وحقائق العجائب ما جعلهما في صف واحد مع الاحتفاظ بحق الرتبة والمقام وهو معنى مجازي وكنائي يسجل تلك المرتبة الرفيعة والمنزلة السامية للامام امير المؤمنين (ع) وللفت الانظار الى قيمة هاتين الدلالتين العظميين والا لا يمكن ان يكون المراد بالمدينة المعنى المادي المعهود بما فيها ومهما تكن كبيرة بالمستوى المتعارف عليه لو لم يكن المعنى المقصود ابعد غورا واكثر عمقا من الذي يرمي اليه النص الشريف وتهدف اليه هذه الرواية وعطفا على ما سبق فان هناك كذلك من الاشارات الدلالية العميقة واللفتات البلاغية الانيقة بما تنطوي عليه من نكتة حكيمة لافته ما يرتفع كذلك عن المستوى العادي والاستفادة الساذجة من النص بما هو ادق واعمق وبما يصطدم مع بديهيات الامور وامهات الحقائق بمستوى الفهم العادي بالنظر الى قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ...) [٦٧] فقد جعل الباري في هذه الآية الاعتصام بحبله – القرآن– مظنة عدم الافتراق مع ان الملاحظ بالبداهة ادعاء المسلمين قاطبة التمسك والاخذ باسباب القران والدعوة الى تلبية ندائه الضامن لوحدة المسلمين وعدم تفرقهم والكل يدعي ان ضمان الوحدة هو الاعتصام بالقران الكريم بينما الملاحظ على ارض الواقع افتراق المسلمين وتشرذمهم واختلافهم الى مذاهب وتشعبهم الى فرق وطوائف فضلا عن اختلاف الاراء والافكار والميول والاتجاهات والقران موجود بين ظهرانيهم

فاين اذن هي دعوى الاعتصام بالقران كونها داعية للوحدة والوئام؟ الحق ان البعد الدلالي للاية الشريفة اعمق مما جاء من الفهم الظاهري لها ذلك ان الدعوة القرآنية هذه تحمل شعار الاخذ والالتفات الى حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين والذي هو في احد وجوهه المطروقة قوله (ص): (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وقد نباني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٦٨]والنكتة الجديرة بالتامل في هذا الحديث هي جعل الثقلين – كتابا وعترة– بمثابة حبل واحد ولم يقل حبلين فبلحاظ جعلهما كذلك دليل العصمة فكما ان الكتاب العزيز معصوم فالمقترن به كذلك وما يتطرق للكتاب يتطرق للعترة لا شك وان جعل الاثنينية هنا بمنزلة حبل واحد هو كون الاعتصام بهما منجاة من الضلالة الى ورود الحوض كناية عن يوم القيامة وعدم افتراقهما الى هذا الوعد للاشارة الى مقاميهما ومنزلتهما كليهما فالحبل المقصود بالآية اذن هو الحبل المقصود في هذه الرواية والتمسك به– كتابا وعترة– يعني الاعتصام الابدي بما هو منجاة من الضلالة الى يوم الدين بعدم افتراقهما الى هذا الوعد كونهما حبل واحد معصوم فلو ان المسلمين تمسكوا بهذا الحبل واعتصموا به لمعرفة موقع العترة من الكتاب لنجوا من الضلالة ولما اختلفوا وما زالوا مختلفين ولساروا جميعا على خط واحد وحبل واحد هو خط الامامة المعصوم بعصمة القران الكريم والمرسوم لهم من قبل السماء ولما حصل وما يحصل من الشقاق والتناحر والتنابذ والتقاتل بما يندى له جبين الانسانية فسياق الاية اذن بالرجوع الى الحديث الشريف يشعر بهذا الملحظ الهام لكن فهم المعنى الحرفي الظاهر من دون الرجوع الى مقدمات فهم النص كالسياق وغيره لا يوصل الى المقصود لان (الاقتصار على فهم الوحدة الكلامية دون الاخذ بالسياق كثيرا ما ينتج عنه خلاف في فهم الوحدة الكلامية وقد تقل نسبة الخلاف لوروعي السياق عند محاولة فهم الوحدات الكلامية وتحديد معناها)[٦٩].

كشف خصائص النص:

لعل من اهم وظائف النقد المعاصر هو كشف خصائص النص ويرى بعض الباحثين ان (هذه الوظيفة النقدية تنسحب على كافة الاتجاهات النقدية بما في ذلك الاتجاه الحداثاني في جنوحه الى الملتقى هذا اذا اخذنا بعين الاعتبار ان حرية القارئ مرتبطة بفضاء النص وحينئذ فان عملية الكشف تطال النص وكاتبه وسياقه) [٧٠] ونحسب ان هذا الجانب يفرض ضرورته اذا كان النص يختزن المبادئ والقضايا الحساسة الحيوية التي تمس واقع الحياة بما يتطلب تعاملا واقعيا مع

النص باعتباره ذا حساسية بالغة وفي هذا الضوء يمكن الاشارة الى ما ورد عن النبي الاكرم (ص) في حق الامام علي (ع) قوله: (علي مع الحق والحق مع علي يدور الحق مع علي حيثما دار)[٧١] مع الالتفات الى وجود حديث اخر مشابه نسقا في حق عمار بن ياسر وفيه يقول (ص): عمار مع الحق والحق مع عمار يدور عمار مع الحق حيثما دار)[٧٢] ولدى تسليط نظارة التنقيب على الحديثين لا ستجلاء ما جاء فيهما تبرز لنا القيمة الدلالية العميقة والمقصودة في التفاته عجيبة ونكته غريبة يعسر على كل احد التقاطها الا لذوي النظر الثاقب والفهم الحاد (بما خفي ربما على الكثير من الصحابة معه السر الكامن فيه فعندما اصحر النبي (ص) بحديثه حول علي (ع) لم يدرك المجتمع الاسلامي الناحية الهامة الكامنة في الحديث لذلك اصحر بحديثه حول عمار ليدرك المجتمع مكانة علي (ع) الالهية ففي حديث علي (ع) جعل النبي (ص) عليا محورا للحق وقطب رحاه قال علي مع الحق والحق مع علي يدور الحق مع علي حيثما دار وفي حديث عمار قال يدور عمار مع الحق وبهذا اراد النبي (ص) ان يبين للعالم ان عليا (ع) هو قطب رحى الحق والحق يدور معه حيثما دار هو سلام الله عليه وكل طالب للحق عليه ان يكون على صلة في علي (ع) كي يتسنى له ان يعرف الحق ويتصل به ويسير على نهجه) [٧٣] واستنادا لذلك ذكر الفخر الرازي في ذيل تفسير البسملة ما يؤيد تفسير الحديث فقال (اما ان علي بن ابي طالب (ع) كان يجهر بالبسملة فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن ابي طالب (ع) فقد اهتدى والدليل عليه قوله (ص): (اللهم ادر الحق مع علي حيثما دار) وقال : من اتخذ عليا اماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه)[٧٤] يكشف النبي (ص) من خلال هذه المعالجة الموضوعية احدى اهم الخصائص الدلالية فللرواية اكثر من دلالة بما يجعل المتلقي قادرا على ان يستل من النص رؤية يتبناها كما يكشف بذات الوقت عن ميزة السنة المطهرة باعتبارها تفسير النص تفسيرا حقيق بالمسلمين اتباعه ومن ذلك يظهر وجوب مراعاة (مؤثرات السياق مثل علاقة الادوار المعينة والاطار المؤسس والمعرفة الخلفية بل في حالات كثيرة لا يحسم أي انجاز محدد قد تم ... الا بناء معلومات سياقية) [٧٥] .

أثر السياق في توجيه المعنى:

يحتل السياق في البحث اللغوي حيزا واسعا ويتمثل دوره في توجيه الدلالة بما يستاثر باهتمام

اهل اللغة فعندهم يتحدد معنى الكلمة باستعمالها في اللغة او الطريقة التي تستعمل بها او الدور الذي تؤديه وقد أكدوا ان المعنى لا يتضح الا من خلال تسييق الوحدة اللغوية بمعنى وضعها في سياقات مختلفة [٧٦] وقد كانت الاسبقية لائمة اهل البيت (ع) بهذا الخصوص فثمة روايات تكشف لنا هذا السبق المبكر منها الرواية التي تنتقد فهم البعض فهما خاطئا لمفاهيم دينية بما ينصرف على اساس الفهم الخاطئ هذا فينبري الامام (ع) مصححا وموجها ومنبها الى دور السياق في توجيه المعنى فيرشده الى اتخاذ الموقف المحدد، ومن ذلك ان عليا (ع) قال لقوم اصحاء جالسين في زاوية المسجد: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال (ع): لا بل أنتم المتآكلة[٧٧] فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا، قال (ع): هكذا تفعل الكلاب عندنا، قالوا: فما نفعل؟ قال: كما نفعل، قالوا: كيف تفعلون؟ قال (ع): إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا[٧٨]. وفي رواية أخرى، قال أبو عبيدة للامام الصادق (ع): ادع الله لي ان لا يجعل رزقي على أيدي العباد فقال (ع): أبى الله عليك ذلك إلاّ أن يجعل أرزاق العباد بعضهم من بعض ولكن ادع الله ان يجعل رزقك على أيدي خيار خلقه فإنه من السعادة[٧٩]. فالامام هنا يصحح السياق الفكري للرجل بهذا التوجيه الدقيق الذي يوضح من خلاله احد مصاديق السعادة. وهناك رواية اخرى نستشف منها نقدا بارعا يتناول المعنى وفيها قال الرضا (ع): رأى علي بن الحسين رجلا يطوف بالكعبة ويقول: اللهم اني أسالك الصبر، فضرب على كتفه، وقال: سالت البلاء، قل اللهم إني أسالك العافية والشكر على العافية[٨٠]. ومن الجلي هنا ان عدم معرفة الرجل بالمعنى جعله يتوجه بهذا الكلام الذي استدعى الامام (ع) ان يصحح له مسار فكره بنقد يوضح المعنى الحقيقي. ففي هذه الامثلة وغيرها نجد بعدا من الابعاد التداولية العاملة على تحقيق الارتباطات الحقيقية او تنقيرا للارتباطات الاخرى بالنظر الى السياق بما له من اهمية كبرى في التغير التواصلي او الوظيفي للنص في الاستعانة (بمؤثرات خارج لغوية فضلا عن المؤثرات اللغوية للكشف عن المخاطب بشكل محدد)[٨١].

تفجير اللغة: تعبير معاصر بمعنى اضفاء دلالات جديدة على الالفاظ او وضع اللغة في مساقات غير مالوفه ومن اللافت اننا كثيرا ما نجد في تراثنا الديني من الالفاظ والكلمات الصادرة عن المعصومين (ع) لها دلالات جديدة وهذه ظاهرة جديرة بالبحث والدرس والتامل ولعل كتاب نهج البلاغة للامام علي (ع) المتصدر لهذه الحقيقة أي في مجال تفجير اللغة بمعنى في

كلامه و ألفاظه فقد اضفى (ع) على تلك الالفاظ المعهودة دلالات جديدة قد اودع فيها روح الجدة والطرافة والاثارة ذلك ان التفجير اللغوي بدوره ناجم عن الرؤية الكونية التي جاء بها الرسول الاعظم (ص) واستطاع من خلالها تغيير مسار المجتمع نحو الافضل والاكمل ويتجلى ذلك في قلب المفاهيم الخاطئة والقيم البائدة والتقاليد البالية للمجتمع الجاهلي يومذاك بما لا عهد للعربي بهذا الصنيع وهذا الامر بدوره ما تحقق الا بعد ان افرغت الالفاظ من الابعاد الجاهلية واتشحت بمعان حية جديدة استلهمت روح التشريع الجديد وتاسيسا على ذلك فاننا نجد الامام عليا (ع) باستكماله لافق النبوة ودورها قد اكسب الالفاظ مفاهيم حية وافاض عليها رونقا جديدا مغيرا بها ما كان خاطئا ومهيمنا على الاذهان الجاهلية ووجد انها منذ زمن سحيق ولعل الكثير من تلك الرواسب باقية الى الان فمن تلك اللمعات اللغوية التي تحدّرت بها براعة علي (ع) قوله: (الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل) [٨٢] ولدى مراجعة معاجم اللغة نلاحظ ان للفظة الجهل معنيين هما:

١- عدم العلم بالشيء

٢- الغضب الذي يقابله الحلم.

وهاذان المعنيان هما السائدان في الاستعمال عادة في الحياة اليومية لدى الناس بما لا يلتفت الى دلالتها الحقيقية لكثرة الاستعمال ففي هذا اللحاظ يضفي الامام (ع) معنى جديدا ما يكسبه رونقا وتالقا نابعا من الفهم الديني اذ يوضح لنا ان الجهل الواقعي سببه الانكباب على الدنيا وزخارفها وسرابها الخداع فلا ينخدع بها ويركن اليها الا ذو و العقول الخاوية والنفوس الضعيفة وبهذا اعطى الامام (ع) لهذه اللفظة دلالة جديدة وحلة فريدة يستطيع من خلالها الاديب الماهر الاستفادة منها في نسيجه الادبي وفي لمعه اخرى من لمعاته (ع) وفيها يقول (الغني والفقر بعد العرض على الله) [٨٣] وهذا مفهوم جديد لمعنى الغنى والفقر فان الامام (ع) لا ينظر الى الفقر والغنى من زاوية مادية وكما هي في المنظور الشرعي باعتبار عدم امتلاك الفرد للاموال والامتعة ذلك هو الفقر وامتلاكه لتلك الماديات يعني الغنى وانما لهذين المفهومين بعد ان خاصان في النظر الى الدنيا ذلك ان تهالك الانسان على الدنيا وجمعه المزيد منها بما لاحد لشبعه منها وطلب المزيد بما فوق الحاجة فذلك هو الفقر بمعنى ان انتظار المزيد معناه الشعور بالحاحه الذي هو الفقر في اللغة وهذا الشعور بحد ذاته هو الفقر بعينه وهذا المنحى نفسه ينعكس على الغنى فلا يعني انه امتلاك كل

شيء بل يعني عدم ركونه الى الدنيا وزخارفها وحطامها الزائل بدليل اننا نجد بعض الزهاد فيها لا يمتلك الاسد رمقه منها مع عدم اظهار الحاجة والظهور بمظهر الغنى ولا تتوق تفسه للحاجة اليها بما يعني غنى النفس ولقد اظهر لنا التاريخ نماذج من هولاء. وفي مورد اخر يدلنا الامام (ع) على اشرف انواع الغنى لكي يستكمل معنى هذه المفردة فيقول: (اشرف الغنى ترك المنى)[٨٤]، ولكي نطلع على اشرف انواع الغنى نزولا عند قول الامام (ع) – فذلك هو ترك الانسان لأمانيه الخادعة فمن عود نفسه وهذبها على تجنب تلك الاماني الزائلة فسيرتقي الى سنام الغنى الحقيقي وذروه المجد الواقعي بما يحق له الفخر بالنفس والتعالي على المنى الزائلة وزبرجتها الرخيصة وهكذا نلاحظ كيفية ان ترتقي الالفاظ لمفاهيم جديدة من خلال رؤية الامام (ع) بتشكيل روى جديدة وافكار ذات عالم بديع لا يتوصل اليه الا من رزق عبقرية فذة وفهم نافذ وفي موضع اخر يحدد الامام (ع) اغنى الاشياء وافقرها قائلا (لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل)[٨٥] فان جوهرة العقل لا تعاد لها جوهرة ولا تدانيها ثروة وهو النور الذي يميز به الحق من الباطل والخطا من الصواب وبه تميز الانسان عن سائر الموجودات فهو اذن ثروة فاز من امتلكه وخسر من فقده لذا جعله الامام (ع) اهم نعمة انعمها الله تعالى على الانسان كما ان الجهل والفقر والظلام فمهما امتلك الانسان من ثروة طائلة بصحبة الجهل فهو الفقير حقا في منظور الامام الذي هو حكاية الواقع ويعلق بعض الباحثين على كلام الامام (ع) هذا فيقول (الغنى هنا بمعنى السعادة والنجاح والمرء يسعد بعقله ويشقى به فمن احسن التفكير استقامت سيرته واعماله وقدر الاشياء اقدارها الحقيقية فلم تغرر به ولم تعاظم عليه اما اذا كان جاهلا فانه فقير كانه يملك مادة للسعادة بل يكون تاعسا واهما تقوى عليه المادة وهو لايقوى عليها)[٨٦] وهذا الكلام الصادر من هذا الاديب النابه يبرهن على جدة هذه الالفاظ وحيويتها وثرائها عند الامام (ع) واستخدامها بحلة جديدة تخلع عليها لباس الطراوة وتكسبها اهمية قصوى تلفت انظار المحققين اليها وفي مقطع من كتابه (ع) الى عثمان بن حنيف الانصاري وفيه يقول: (... ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمرية[٨٧] ومن طعمه بقرصية لا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد ...)[٨٨] لقد اضفى امام البلغاء والفصحاء على كلمةة (الاعانة) في قوله (اعينوني) بورع واجتهاد وعفة وسداد ، فهما اوسع ودلالة مبتكرة فالاعانة الحقيقية في منظور الامام (ع) هي سلوك طريق الايمان والسير على هدية والتحلي بالورع والعفة والسداد وهذا المفهوم

الذي يعطيه الامام (ع) والمنحى الذي يضيفه هو من اكثر المفاهيم طرافة وحداثة في القاموس اللغوي سواء القديم منه او الحديث وذلك بالتعمق في افق الكلمة والتوغل في ابعادها لاكتناز الدراري واكتناه الدرر لاجل صبها في بوتقة المشتغلين في سلك الادب وصهرها للاستفادة والاستزادة والاستناره بالراقي من الثقافة. وفي رائعة أخرى من روائع الإمام علي (ع) وهي قوله: (فقد الأحبة غربة)، فالامام (ع) في هذه الكلمة يعطي دلالة جديدة للكلمة باعتبار ان الغربة بمفهومها المعروف هو رحيل الانسان عن قومه واهله وعشيرته بعيدا عنهم بين اناس لا يعرفهم ولا يعرفونه وقد لا يلاقي الاكرام منهم لكنه لا يعد غريبا اذا ما عاش بين اهله واصدقائه ومعارفه ومريديه واذا ما افتقد هولاء فان ذلك يعني الغربة بعدما كان قد انس بهم. ان هذا المعنى الرمزي الرائع قد شحذ الكلمة بمفهوم طارئ لا عهد للعربي به في اللفظ مع شعوره به في نفسه فلا عبره هنا باستيعاب المعنى وانما من نقله الى عالم جديد وخلق رؤية مبتكرة . وهذه بديعة اخرى من بدائع الامام امير المؤمنين (ع) وفيها يقول: (ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك)[٨٩]، فمن المعهود ان لفظة (الخير) من الالفاظ المستعملة لدى الناس في مجاملاتهم اليومية المادية حين يدعو احدهم لصاحبه بالخير والقصد هو ادخال السرور في قلبه والمقصود هو الناحية المادية ولكن الامام (ع) جعل من اللفظة كثرة العلم وتعاظم الحلم والمباهاة بعبادة الباري تعالى . ان هذا التوجه يعني الالمعية بما هو التعمق في استعمال الالفاظ في سياقات جديدة بمعان جديدة غير مالوفة من ذي قبل وعليه فلكلمة (الخير) دلالات جديدة تعتبر في عرف الادباء براعة وابداعا كما يثري الادب ويغنيه ولعل من اروع الانجازات اللغوية تفجيرا ما جاء عن الصادق (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال: (مرَّ رسول الله (ص) بقوم يرفعون حجرا فقال ما هذا؟ قالوا: نعرف بذلك أشدنا وأقوانا، فقال (ص): ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق وإذا قدر لم يتعاط[٩٠] ما ليس له بحق)[٩١]، فالرسول الأعظم (ص) هنا يضفي على عبارتي (أقوى) و (أشد) دلالة رائعة تسمو بهما عن النمط التقليدي باسلوب بارع مستفهما منهم (ما هذا) إثارة لانتباههم ثم الاستفهام ثانية بلفظة (ألا) ليشدهم الى ما يروم قوله وذلك بإلقاء الحديث

مدعما بالحجة لإقناعهم بأن أقوى الناس من يمتلك هذه الخصال وأشدهم من يتصف بهذه الخلال والسجايا الحميدة مفجرا بذلك دلالة معنوية ورمزية للفظة فريدة. ويطالعنا حديث آخر في هذا الصدد عن الصادق (ع) عن آبائه عن النبي (ص) قال: (شر الناس المثلث، قيل يا رسول الله وما المثلث؟ قال: الذي يسعى بأخيه الى السلطان فيهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك السلطان)[٩٢]، والحق الذي لا مرية فيه أن كلمة (المثلث) ليست بغريبة على أهل اللغة لفصاحتها فما الذي جعل الحاضرين يستفهمون عن معناها؟ مع استعمالها في مجال اللغة؟ الحق إن استعمال النبي (ص) لها بهذه الطريقة جعلها جديدة مبتكرة بما لم يتم استعمالها في هذا المعنى، فقد أبدع النبي (ص) أسلوبها وأعطى للكلمة دلالة جديدة مبتكرة، وقد فجر اللغة باستخدامها في سياق أثار غرابة الحاضرين الذين لم يعتادوا استعمال الكلمة في مثل هذا السياق. وهناك أمثلة أخرى كثيرة نكتفي بهذا المقدار روما للاختصار وإيضاحا للمطلوب.

الدلالة الرمزية للحروف والأصوات:

قليل من يعلم بأن للحروف العربية ابجدية هندسية وضعها أهلها الأولون تقوم عليها (بناية اللغة العربية وبها وحدها تثبت في لائحة الحضارات وتشيع في منطق الذات) [٩٣]، وليس هذا بعجيب أو جديد فالمتعمق في دراسة الألسنية يدرك هذه الأغوار الحافلة بالنوادر الهندسية وبعد ذلك فلا غرابة بالقول: (إن للحروف في العربية أوزانا متباينة فالحاء تساوي عشرين غراما...والقاف تساوي سبعين غراما)[٩٤]، لذاك تجدنا نقول: (فلح) الأرض. والأرض تراب– كما نعلم– لا يحتاج الى ثقل يشقه، ونقول: (فلق) الصخر. والصخر صلب يحتاج الى ثقل يشقه، وقس على ذلك كثيرا في الحروف، ونقول: (قطف) الثمرة و(قطع) الشجرة. والحقيقة هي (أن حرف الفاء أخف وزنا من حرف العين، فالثمرة لا تحتاج الى قوة في قطفها بينما– على النقيض– الشجرة تقتضي فأسا قويا لقطعها)[٩٥]. إن هذا المعنى لم يكن مبتكرا لدى اصحاب هذه الدراسات وانما له قدم السبق في التراث الديني وان للحروف دلالات رمزية وقد تكون حسية بخاصة ما جاء في تراث اهل البيت (ع) فان لهم إسهامات ثرية في هذا الحقل التداولي تستحق الاعتناء، وهذا ما جاء في تراث الشيعة في هذا الخصوص، يقول أحد الباحثين متحدثا عن هذا التراث: (الحرف في حد ذاته أحد مكونات الكلمة أو اللفظ وقد كان للكلمة أو اللفظة المفردة في كل لغة دور سحري لا ينكر خاصة في المراحل الأقدم من تاريخ البشرية غير أن هذا الدور لم ينته كليا فمازالت القوة التعبيرية للكلمة المفردة لا تأتي

من معناها وحدها بل من ظلالها الصوتية وطبيعة شكلها وتاريخها المشحون بشتى الدلالات الغيبية والميتافيزيقية)[٩٦]، ثم يضيف قائلا: (إن الاستعمال الرمزي للغة عامة وللحرف بشكل خاص وهو استعمال راج عند الشيعة فأصبحت فيه الحروف كيانات رمزية يجب الوقوف عندها وتأويلها لاستخراج مرموزاتها بصورة أخرجت الى معان ودلالات مختلفة كليا عن الفهم البسيط الشائع لها ولا شك أن للشيعة فضل تفجير هذا التأويل الرمزي للنصوص ولهم فضل زيادة هذا العلم واسبقية فتح الطريق لمن جاء بعدهم من المتصوفة حتى اتسع ذلك الباب)[٩٧] وثمة ما يطالعنا من ماثورات تثبت هذا الادعاء نورد بعضا منها وعلى سبيل المثال ما جاء في الخطبة الشقشقية الشهيرة للامام علي (ع) باثا فيها شكواه من امر الخلافة وما فصل فيها للتعريف بحقه المهضوم مستفتحا فيها الاشارة الى تقمص الأول للخلافة مرورا بالثاني ومعرجا على الثالث الذي فتح الباب بمصراعيه لأقربائه وعشيرته وفيها يقول (... وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمه الابل نبته الربيع ...)[٩٨] والشاهد هنا لفظة (يخضمون) واستعماله لها وسر هذا الاستخدام فإن (الخضم يدل على كثرة وامتلاء وهو المضغ بأقصى الأضراس ... وشدة الأكل في رغد وهو الأكل بجميع الفم[٩٩] بعكس القضم، فيقال: قضم الدابة شعيرها قضمت تقضم بأطراف الأسنان، وفي الحديث: يخضمون ونقضم والموعد الله، وبرواية أخرى: اخضموا فسوف نقضم، أي كلوا فسوف نجتزئ بالقليل[١٠٠]، والسر في استعمال اللفظة عند الإمام (ع) أنهم لشدة جشعهم وحرصهم على اكل المال الحرام وابتلاعهم له فقد عبر عنه بالخضم للاستحواذ على ما يعود لمقدرات المسلمين وحقهم فهو كناية عن الابتلاع المتزايد من المال وبعكس ذلك هو (القضم) فانه للشيء القليل باعتباره ما يعود الأكل الصلب كناية عن الاكل القليل فمن المقابلة بين الامرين فان الخضم هو ابتلاع الكثير باعتبار سهولة الابتلاع اما القضم فلان اكل الشيء الصلب يكون ببطء في الفم فهو تعبير عن القليل فقد قالوا: قد يبلغ الخضم بالقضم. أي قد يبلغ المبلغ الكبير بالشيء الصغير[١٠١]. فنلاحظ هنا أن استعمال لفظة (خضم) عند الامام (ع) جاء تعبيرا عن الجشع المتزايد لا كل الحرام لدى هولاءبما لا حد ولا حدود له ويؤيده ما جاء على لسان احد عمال بني امية (السواد بستان لقريش) وهو انعكاس لمقولة الامام (ع)، وبالتالي أعطى للكلمة بعدا أوسع واستخداما اشمل ودلالة أعمق تعبر عن

عمق المراد وكشف الواقع ويؤيد ذلك السلوك المنحرف لدى أولئك الحكام وتماديهم باكل المال الحرام بالباطل، ونظير هذا الاستخدام للبعد الرمزي للكلمة في إطار الأفق التداولي ما ترويه كتب التراث فيما يشار لعلي (ع) بالقول: (احذروا القطم) لدى دخوله ساحة الوغى في أتون الحرب المستعرة فتتحاشاه الأبطال ولا تدانيه الأقران، والسر الكامن وراء إطلاق هذه اللفظة بالرجوع الى المعنى المتداول نجد أنها تدل على قطع الشيء ... يقولون: قطم الفصيل الحشيش بأدنى فمه يقطمه ... والقطامي الصقر ولعله سمي بذلك لحرصه على اللحم، والقطيم الصؤول الفحل ... والقطامي من أسماء الشاهين ومقطم البازي مخلبه[١٠٢]، فهو إذن كناية عن حدَّة ضربات الإمام (ع) وشدَّة وثباته وانقضاضه على عدوه فكأنه ينال من العدو والمخالب سيفه ما ينال الصقر من صيده ويجهض على المقابل نظير ما يصنع الاسد بفريسته، لذا تهابه الأبطال (ع) وتتقيه الأقران لدى النزال لشدة ضرباته وصولة عزماته، فلا يفلت من عزم حسامه أحد ولا يجابهه شخص إلاّ وأعانه على نفسه بتردده وهزيمته، حتى وصفت ضرباته (ع) "بالوتر" على حد تعبير ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، وقيل: لصرامته ودقَّته (ع) أنه إذا اعتلى قدَّ وإذا اعترض قطَّ. فتأمل ما يحمله هذان اللفظان من معان دقيقة ودلالات عميقة تحكي دقَّة ضرباته ووطأة صولاته، ذلك أن القدَّ يدلُّ على قطع الشيء طولا، وقيل: يدلُّ على قطع وتسوية طولا وغير طول[١٠٣]، أمّا القطُّ فيقال: إنه يدلُّ على قطع الشيء بسرعة عرض[١٠٤]، لذا ينقل عنه (ع) أنه إذا ضرب أحدا في الحرب قطه نصفين، كناية عن دقَّة الضربة وشدَّة إيغالها في الجسد.

إذن من هنا يتبين أن للحروف دلالة حسية وصوتية كما أن لها دلالة رمزية، مع الإشارة الى أن حروف المعجم لم تكن وضعت بوصفها معان للكلمات والألفاظ- كما يتصور- وإنما هي كائنات ذات دلالات دينية بديعة بما يزيد من أهميتها وإخراجها من كونها مجرد علامات وإشارات جوفاء فتبعث فيها الحياة والحيوية، ولا تنطق هذه الحروف بمعانيها السامية إلاّ لمن تمثَّل رنين الحق والجمال، وطبيعي أن إدراك ذلك ينحصر بالأئمة المعصومين (ع) وكلماتهم وبيانها للناس أجلى بيان كونهم وارثي علم النبوة ومستودع أسرارها.

فمن الدلالات الرمزية الهادفة الى توحيد الخالق عز وجل فيما صدر عنهم (ع) ما جاء عن وهب بن وهبة القرشي، قال: سمعت الصادق (ع) يقول: قدم وفد من أهل فلسطين على الباقر (ع) فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثم سألوه عن

(الصمد)، فقال: فالألف دليل على أنيَّته، وهو قوله عز وجل ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١٠٥)، وذلك تنبيها وإشارة الى الغائب عن درك الحواس، واللام دليل على إلهيَّته بأنه هو الله، والألف واللام مدغمان على اللسان (في حالة الوصل) ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليل على أن إلهيَّته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واصف ولا اذن سامع، لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ما هيَّته وكيفيَّته بحسٍّ أو وهم، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر العبد الى نفسه لم ير روحه، كما أن لام الصمد لا تتبين ولا تدخل في حاسة من الحواس الخمس، فاذا نظر الى الكتاب ظهر له ما خفي ولطف، فمتى تفكَّر العبد في ماهيَّة الباري وكيفيَّته أله فيه وتحيَّر ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه عز وجل خالق الصور فإذا نظر الى خلقه ثبت له أنه خالقهم ومركِّبُ أرواحهم في أجسادهم، أمّا الصاد فدليل على أنه تعالى صادقٌ وقوله صدقٌ وكلامه صدقٌ وأنه دعا عباده الى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق، أمّا الميم فدليل على ملكه وأنه الملك الحق لم يزل ولا يزول ملكه، وأمّا الدال فدليل على دوام ملكه وأنه سبحانه دائم تعالى عن الكون والزوال بل هو عز وجل يُكوِّنُ الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن(١٠٦). إذن فللحروف عند الإمام الباقر (ع) كيانات رمزية يجب الوقوف عندها والتأمل فيها والتبصر بمبناها ومحاولة استخراج مرموزاتها إلا أن هذه العملية تتطلب وعيا خاصا يصدر عن صفاء روحي، والأئمة (ع) قطعا يمتلكون هذا الوعي لذلك نجدهم يترجمون لغة الظواهر المادية وهذا ما لا يقوى عليه إلاّ ذو حس مرهف وثقافة عميقة. وهكذا وجدنا البعد التداولي في كل ما مرَّ ذكره يتمحورُ في كلام المعصومين (ع) بأصناف عدة ويتجلى في عناصر متعددة ويتمظهرُ في جوانب عديدة، منها ما كان على صعيد البعد الدلالي ومنها في الأفق السياقي أو في البعد الرمزي والصوتي للحروف ونحو ذلك. واستشعرنا الأبعاد التداولية في مكنون كلامهم وما روي عنهم ورصدنا صور الدلالات الأنيقة في أساليب بلاغية جمالية وأنماط تعبيرية خلاقة من خلال استعراض لنماذج من دقائقهم المعبرة في رصد مكثف يتطلع الى رائق بياناتهم (ع) وفي تفرد يحكي أدب الوحي النبوي والألق المحمدي المنبثق من شذى النبوة وعبق الرسالة، وهكذا فإن

كلامهم (ع) نور يجلو الأبصار وحقائق تأسر القلوب ومنار هداية تأخذ بمجامع الألباب.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الدقيقة والمركزة لموضوع التداولية وبيان أبعاد هذا المفهوم نكون قد أعطينا لمحة عن مفهوم التداولية بما يعني مجموعة النظريات المتفاوتة والمتحدة في النظر الى النص كونه نشاطاً يُمارس بأبعاد مختلفة، وذلك بدراسة العلاقات بين مفسري العلامات من خلال اللغة ومنتجها بعد تحكم مجموعة الشروط الذاتية والموضوعية والتحليل التداولي وأثر التفاعل في موقف النص ودراسة كل الاتجاهات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبيان المضامين والمداليل المتولدة في السياق. كل ذلك يكمن في استعمال اللغة وما يختبئ خلف اللفظ وشرح كيفية العمل الإجرائي الاستدلالي في معالجة اللفظ. ولم يغفل البحث الإشارة الى موضوع الدلالة وحصر مهام التداولية ومعناها العميق لفرز الدلالة واستجلاء مفهومها بعد التداخل الموهم بكونهما يصبان في منبع واحد. وأشار البحث الى موضوع البعد التداولي في الصناعة النحوية من خلال الشواهد القرآنية والحديثية ومطالعة البعد الدلالي في أحد مفاهيمه المرتبطة بالتداولية في استنطاق النصوص المأثورة عن النبي (ص) والمعصومين (ع). كما عرَّج البحث على موضوع غاية في الأهمية، ألا وهو كشف خصائص النص وإبانة المغطى فيما جاء من مأثورات تحمل في طياتها المعاني السامية والمقاصد العالية مبينا أثر السياق ودوره في إصابة المعنى. ولعل من أكثر الموضوعات طرافة هو "تفجير اللغة" الذي ألقى بظلاله على استنطاق الألفاظ والمفاهيم لأجل كشف الأغوار العميقة والمرامي الدقيقة، فيما أثر عن أهل البيت (ع)، ولعل من أبرعها موضوع الدلالة الرمزية للحروف والأصوات في مأثور كلامهم (ع). وبهذا نكون قد أعطينا إلمامة مركزة وإضاءة وافية لمفهوم التداولية واهتماماتها وتطبيق ذلك على الواقع العملي، عسى أن يكون هذا العمل–مع إيجازه– لبنة في طريق بناء الصرح العلمي تضاف الى تلك التي أسهمت في رفد الحركة المعرفية خدمة لشريعتنا الغراء وقرآننا العظيم وسنة نبينا محمد (ص).

الهوامش:

(١) التداولية اليوم ص٢٠٧.

(٢) ينظر التداولية اليوم ص ٢١٠.

(٣) ينظر التداولية اليوم ص٢٠٥.
(٤) الفلسفة واللغة ص١٦٦.
(٥) الشرط في القران ص١٣٦.
(٦) ينظر انفتاح النص الروائي ص١٢.
(٧) ينظر علم لغة النص ص٢٨.
(٨) ينظر انسان الكلام ص٣٧.
(٩) ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص ص١٠٦٨.
(١٠) ينظر الفلسفة واللغة ص١٦٠.
(١١) الفلسفة واللغة ص١٦٠.
(١٢) لسانيات النص ص٢٩.
(١٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(١٤) ينظر الفلسفة واللغة ص٢١٤.
(١٥) ينظر لسان العرب مادة دول
(١٦) وصف اللغة العربية دلاليا ص١١٧ – شظايا لسانية ص٢٩.
(١٧) تحليل الخطاب المسرحي ص٨.
(١٨) ينظر البراغماتية وعلم التركيب ص١٢٥ .
(١٩) ينظر البحث اللساني والسيميائي (بحث) ص٢٠١-٢٠٢.
(٢٠) تحليل الخطاب المسرحي ص ٨.
(٢١) ينظر شظايا لسانية ص٥٩.
(٢٢) النص والسياق ص ٢٧٣.
(٢٣) التداولية واللسانيات www.droob.com
(٢٤) شظايا لسانية ص٥٩.
(٢٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٢٦) النص والسياق ص٢٧٥.
(٢٧) المقاربة التداولية ص٨٤.
(٢٨) السيميائية وفلسفة اللغة ص ٤٥٥.

(٢٩) ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص ص٢٦.
(٣٠) التداولية عند العلماء العرب ص١٦-١٧.
(٣١) ينظر علم اللغة النصي ص٢٣٨ ، بلاغة الخطاب وعلم النص ص٢٦.
(٣٢) القاموس الموسوعي ص ٦٧٧
(٣٣) التداولية اليوم ص ٢٦٤.
(٣٤) ينظر النص السياق ص ٢٩.
(٣٥) ينظر الخطاب القراني ص ٢٨.
(٣٦) ينظر وصف اللغة العربية دلاليا ص ١١٨.
(٣٧) ينظر النص والسياق ص٢٥٠.
(٣٨) ينظر اللسانيات الوظيفية ص١٤.
(٣٩) ينظر وصف اللغة العربية دلاليا ص٧٥.
(٤٠) ينظر علم الدلالة السمانتيكية والبراغماتية ص١٥٧-١٦٢.
(٤١)ينظر البحث اللساني والسيميائي (بحث) ص٢٩٩.
(٤٢) شظايا لسانية ص ٦٢.
(٤٣) التراكيب الاعلامية ص٥٧.
(٤٤) المعجم المفصل ٦٣٤/١.
(٤٥) المصدر نفسه ٦٣٥/١.
(٤٦) الاسلوب في الاعجاز البلاغي في القران الكريم ص٧٠.
(٤٧) الاسلوبية والبيان العربي ص٢٣٥.
(٤٨) علم الاسلوب ص ١١٥-١١٦.
(٤٩) الرماني النحوي ص٢٥٢.
(٥٠) ينظر الخصائص ٢٨٤/١-٢٨٥.
(٥١) المصدر نفسه ٢٣/١.
(٥٢) دلائل الاعجاز ص٤٩.
(٥٣) ينظر دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء ص٥١.
(٥٤) ينظر شرح المفصل ٧٨/١.
(٥٥) البقرة : ١٨٥.
(٥٦) اعراب القران ص١٥٤.

(٥٧) ينظر الكشاف ١١٢/١.

(٥٨) ينظر البيان في اعراب غريب القران ٦٥/١.

(٥٩) الانشاء في العربية بين التراكيب والدلالة دراسة نحوية تداولية ص٨٢.

(٦٠) ينظر الصورة والصيرورتص٥٢.

(٦١) آل عمران : ٩٧.

(٦٢) ينظر مغنى اللبيب ٦٩٤/٢.

(٦٣) التحليل النحوي ص٦٨.

(٦٤) ينظر لسانيات النص ص٩٣.

(٦٥) البقرة : ١٨٩.

(٦٦) ينظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز ابادي ٢٨١/٢وما بعدها للاطلاع على مصادر الرواية للحديث الشريف

(٦٧) آل عمران : ١٠٣.

(٦٨) ينظر المراجعات للسيد شرف الدين هامش ص٢٧ وما بعدها لمعرفة مصادر الحديث في رحاب حديث الثقلين لعادل العلوي ص٨–١٧ فقد اوصل عدد مصادر المسلمين الرواية لهذا الحديث الى مئة واثنين وتسعين مصدرا .

(٦٩) مقدمة في نظريات الخطاب ص٢٥.

(٧٠) الاسلام والادب ص٢٩١.

(٧١) ينظر فضائل الخمسة من الصحاح والستة ١٢٢/٢ لمعرفة مصادر الحديث

(٧٢) الطبقات لابن سعد ٢٦٢/٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٧٦/٤٣.

(٧٣) ربع قرن مع العلامة الاميني ص٦٩.

(٧٤) مفاتيح الغيب ٢٠٧/١.

(٧٥) التحليل اللغوي للنص ص ١١٧.

(٧٦) ينظر فقه الحديث بين النظرية والتطبيق ص١٢٤ وما بعدها، فصل نظرية السياق ودلالته في الحديث الشريف اطروحتنا للدكتوراه .

(٧٧) تآكل السن او العود صار منخورا و سقط .

(٧٨) مستدرك الوسائل ١٧٩/٨.

(٧٩) بحار الانوار ٢٤٤/٧٨.

(٨٠) المصدر نفسه ٢٨٥/٩٢.

(٨١) التحليل اللغوي للنص ص ١٢٩.
(٨٢) نهج البلاغة .باب الحكم . الحكمة رقم ٣٨٤.
(٨٣) نهج البلاغة ، باب الحكم ، الحكمة رقم ٣٤.
(٨٤) المصدر نفسه .
(٨٥) المصدر نفسه الحكمة رقم ٥٤.
(٨٦) في النقد والادب ١٢١/٢.
(٨٧) الطمر: الثوب الخلق العتيق .
(٨٨) نهج البلاغة . باب الرسائل – الرسالة رقم ٤٥.
(٨٩) المصدر نفسه الحكمة رقم ٩٤.
(٩٠) التعاطي: التناول والجراة على الشيء.
(٩١) معاني الاخبار ص٣٤٤.
(٩٢) بحار الانوار ٢٤٩/٧٥.
(٩٣) معجم غرائب اللغة ص٥.
(٩٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٩٥) معجم غرائب اللغة ص ٥.
(٩٦) رمزية الحروف دينيا وجماليا ص٤٢-٤٣.
(٩٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها
(٩٨) نهج البلاغة ص٢٨.
(٩٩) ينظر العين ٤٩٨/١، ومعجم مقايس اللغة ص٣٠٢.
(١٠٠) ينظر العين ١٤٩٠/٣، معجم مقايس اللغة ص٨٦١.
(١٠١) ينظر العين ٤٩٨/١.
(١٠٢) ينظر العين ١٤٩٨/٣، معجم مقايس اللغة ص٨٦٣.
(١٠٣) ينظر معجم مقايس اللغة ص ٨٢٤.
(١٠٤) ينظر المصدر نفسه ص٨٢٦.
(١٠٥) آل عمران : ١٨ .
(١٠٦) ينظر: التوحيد ص٩٢.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. احمد بن فارس –ابو الحسين – معجم مقايس اللغة – دار احياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٩هـ .

٣. ايميل بديع وميشال عاصي – المعجم المفصل في اللغة والادب – دار العلم للملايين – بيروت –ط١– ١٩٨٧.

٤. اوزوالدديكرو – جان ماري سيشايفر ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان . ترجمة منذر عياشي – المركز الثقافي العربي – بيروت /ط٢/٢٠٠٧م.

٥. اميرتو ايكو ، السيمائية وفلسفة اللغة ، ترجمة د. احمد الصمعي المنظمة العربية للترجمة –بيروت /ط١–٢٠٠٥م.

٦. الانباري ابو البركات : البيان في اعراب غريب القران – تح عبد الحميد طه مراجعة مصطفى السقا دار الكتاب العربي – القاهرة – ١٩٣١.

٧. ايليا حاوي – في النقد والادب – منشورات دار الكتاب اللبناني ،ط٤–١٩٧٩م.

٨. الانصاري ابن هشام جمال الدين ،مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله – مؤسسة الصادق – ايران –ط١(د.ت)

٩. بتول قاسم ناصر – دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط١–١٩٩٩م.

١٠. البستاني محمود ،الاسلام والادب ، منشورات المكتبة الادبية المتخصصة ط١/١٣٢٢هـ .

١١. الثامري عادل . التداولية واللسانيات .wwwDoroob.com

١٢. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الاعجاز . مطبعة المنار ،مصر ، ١٣٣١.

١٣. حسن طلب ، رمزية الحروف دينيا وجماليا– مجلة فصول المجلد الثاني عشر – العدد الثالث – خريف –١٩٩٣.

١٤. حنان اسماعيل عمايرة – التراكيب الاعلامية في اللغة العربية – دار وائل للنشر – عمان – ط١–٢٠٠٦م.

١٥. خالد ميلاد – الانشاء في العربية بين التراكيب والدلالة دراسة نحوية تداولية جامعة منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع – تونس – ط١ –٢٠٠١م.

١٦. دايانمكدونيل ، مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة وتقديم عز الدين اسماعيل – المكتبة الاكاديمية – مصر –ط١– ٢٠٠١م.

١٧. الزمخشري جار الله محمود بن عمر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل اعتنى به وخرج احاديثه وعلق عليه خليل مامون شيما – دار المعرفة – بيروت – ط١–١٤٢٣–٢٠٠٢م.

١٨. الزواوي بغورة . الفلسفة واللغة – نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة – دار الطليعة – بيروت –ط١– ٢٠٠٥م.

١٩. سعيد يقطين – انفتاح النص الروائي .المركز الثقافي العربي – بيروت . ط١–١٩٨٩.

٢٠. شاهر الحسن ، علم الدلالة السيمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية – دار الفكر – عمان –٢٠٠١م.
٢١. شوقي حمادة ،معجم عجائب اللغة – دار صادر بيروت – ط٢/٢٠٠٧.
٢٢. الشاكري حسين . ربع قرن مع العلامة الامين ، مطبعة ستارة ، قم . ط١. ١٤١٧.
٢٣. صلاح فضل – بلاغة الخطاب وعلم النص – عالم المعرفة – الكويت –ط١– ١٤١٣–١٩٩٢.
٢٤. الصدوق محمد بن علي بن الحسين – معاني الاخبار – مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم –ط٤– ١٤١٨هـ
a. توحيد الصدوق – مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
٢٥. طه عبد الرحمن ، البحث اللساني والسيميائي – ندوة كلية الاداب والعلوم الانسانية – الرباط– جامعة محمد الخامس– ١٤٠١هـ
٢٦. عثمان بن طالب ، البراغماتية وعلم التركيب – الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات – الجامعة التونسية – تونس–١٩٨٥م.
٢٧. العموش خلود – الخطاب القراني دراسة في العلاقة بين النص والسياق عالم الكتب الحديث – الاردن /ط١–١٤٢٦هـ.
٢٨. عمر بلخير تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية – منشورات الاختلاف – الجزائر ،ط١–٢٠٠٣م.
٢٩. عثمان بن جني ابو الفتح ، الخصائص – تح محمد علي النجار – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط٤–١٩٩٠م.
٣٠. الفراهيدي الخليل بن احمد العين تح مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي مطبعة باقري –قم – ط١–١٤١٤
٣١. فخر الدين قباوة – التحليل النحوي اصوله وادلته – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت– ط٢/٢٠٠٢م.
٣٢. فان دايك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبد القادر قنيني – افريقيا الشرق– بيروت–ط١–٢٠٠٠م.
٣٣. فرانسوازارمينكو – المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش – مركز الانماء القومي – الرباط ١٩٨٦ .
٣٤. فايز الداية ، علم الدلالة الصوتي النظرية والتطبيق – دار الفكر – دمشق –ط١–١٤٠٥.
٣٥. الفقي صبحي ابراهيم – علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية – دار قباء– القاهرة،ط١، ٢٠٠٠م.
٣٦. كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص مدخل الى المفاهيم الاساسية والمناهج ترجمة وعلق عليه سعيد حسن بحيري – مؤسسة المختار – القاهرة ، ط١–١٣٢٥
٣٧. كلود حجاج – انسان الكلام مساهمة لسانية في العلوم الانسانية ترجمة رضوان ظاظار – المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٢م.
٣٨. المجلسي محمد باقر بحار الانوار– دار احياء التراث العربي – بيروت، ط٢ – ١٤٠٣هـ
٣٩. المتوكل احمد ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري – منشورات عكاظ ، الرباط – ١٩٨٩.
٤٠. المبارك مازن ، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه – دار الفكر المعاصر –سوريا –ط٣–١٩٩٥.

٤١. مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي – دار الطليعة – بيروت ، ط١–٢٠٠٥م
٤٢. المسدي عبد السلام ، الطرابلسي محمد الهادي – الشرط في القران على نهج اللسانيات الوصفية ، الدار العربية للكتاب – ليبيا ، تونس –١٩٨٥.
٤٣. محمد خطابي ، لسانيات النص المدخل الى انسجام الخطاب – المركز الثقافي العربي – ط٢ ، ٢٠٠٦م.
٤٤. محمد محمد يونس علي ، وصف اللغة العربية دلاليا – منشورات جامعة الفاتح ليبيا –١٩٩٣.
٤٥. الماشطة مجيد ، شظايا لسانية – مطبعة السلام– البصرة ، ط١، ٢٠٠٧م.
٤٦. الموسى نهاد ، الصورة والصيرورة – دار الشروق للنشر عمان ،ط١، ٢٠٠٣م.
٤٧. النوري ميرزا حسين ، مستدرك الوسائل – مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ، ط١، ١٤٠٧.
٤٨. نهج البلاغة الامام علي بن ابي طالب (ع) ضبط وفهرسة صبحي الصالح – دار الاسوة ، طهران –ط٥، ١٤٢٥.
٤٩. النحاس احمد بن جعفر ، اعراب القران ، تحـ زهير غازي زاهد – عالم الكتب ط١–١٤٢٩.
٥٠. يعيش بن علي موفق الدين – شرح المفصل – المطبعة المنيري (د. ت) .